Journal Of the Iraqia University (72-3) October (2024)



ISSN(Print): 1813-4521 OnIine ISSN:2663-7502
Journal Of the Iraqia University
available online at: https://www.mabdaa.edu.iq

العـــراقيـــة المجلات الاكـاديمية العلمية
IRAQI Academic Scientific Journals

الحوارات القرآنية نبي الله نوح عليه السلام

مسلم حسن جلوب

الكاتب الأول والمسؤول/ فاطمه دست رنج

استاذ مشارك قسم علوم القرآن والحديث جامعة اراك ايران

علوم القرآن الكريم علوم القرآن جامعة اراك ايران

Quranic dialogues of God's Prophet Noah, peace be upon him

First writer and responsible: Fatima Dast Range Associate Professor, Department of Qur'anic and Hadith Sciences, Arak University, Iran
f-dastranj@araku.ac.ir
Moslem hasan challob alsobayhavie
Sciences of the Holy Qur'an, Sciences of the Qur'an, Arak University, Iran

الملخص

يقومُ هذا البحثُ على بيانِ أهميةِ الحوارِ وأثرِهِ في إقامةِ الحُجَّةِ وإظهارِ الأدلَّةِ التي تؤيدُ الحقَّ وتقرره، والدعوة إلى الحوار الهادي؛ لأنَّه هو مفتاح القلوب، فهو السبيل للوصول إلى الحقيقة عن طريق الكلمة؛ ولأنَّ الكلمةَ الطيبةَ سلاحُ المؤمنِ في أداءِ رسالتِهِ النبيلة، سواء دعوة الناس إليها، أم الدفاع عنها، كما أنَّها سبيل الداعية في التعامل مع أمثاله من الدعاة، خاصة إذا تباينت الآراء واختلفت وجهات النظر. ولكثرة استخدام أُسلوب الحوار في القرآن الكريم، وما تضمنه من أسرار بلاغية إعجازية في دقائق اللغة، وما فيه من تحدٍّ من الظواهر البلاغية والنحوية التي لفتت أنظار العلماء القدامى والمُحدَثين.الكلمات الرئيسية :الحوار، القرآن الكريم، نوح – عليه السلام.

المقدمة

الحمدُ للهِ ربِّ العالمين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين محمد صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه أجمعين ومن اهتدى بهديه إلى يوم الدين.لقد حرص العلماء قديمًا وحديثًا وتظافرت جهودهم على خدمة كتاب الله، فبدأت الجهود بتفسير مفرداته وما أشكل من عباراته، وتوضيح معاني كل سياق، والكشف عن بعض أسرار الأُسلوب القرآني من الألفاظ والمعاني محاولة معرفة جمالية المفردة القرآنية. ولقد تعددت الحوارات في القرآن الكريم، وتنوعت موضوعاتها ومضامينها، فمنها ما يتعلق بحوار الرسل مع أقوامهم، ومنها ما هو خارج نطاق النبوة، ولكل حوار أطراف، وقد يكون الحوار بين أكثر من طرف على أنْ تتوافر شروط الحوار بين المتحاورين، ومنها: العلم بموضوع الحوار، والتحلي بآدابه، ومعرفة أُصوله.لذا قمتُ بدراسة الحوار في القرآن الكريم متخذًا من قصة نوح – عليه السلام – أُنموذجًا للدراسة، وتضمن موضعين: الأول: حواره مع رب العزة، والثاني: حواره مع قومه.وقد تضمن البحث أربعة مباحث، مسبوقة بتمهيد، ومختومة بخاتمة تضم أهم النتائج:تضمن المبحث الأول: تعريف الحوار لغةً واصطلاحًا.والمبحث الثاني: أهمية الحوار في القرآن الكريم.والمبحث الثالث: أقسام الحوار في القرآن الكريم.والمبحث الرابع: نماذج من الحوار لسيدنا نوح – عليه السلام.ومن ثَمَّ الخاتمة، وأهم النتائج .

المبحث الأول الحوار في اللغة والاصطلاح

الحوار لغةً: «الرجوع عن الشيء، وإلى الشيء، حارَ إلى الشيء، وعنه، حَوْراً ومَحاراً ومَحارَةً وحوؤراً: رجع عنه، وإليه... والحَوْرُ: الرُّجُوعُ. يُقَالُ: حارَ بعد ما كارَ. والحَوْرُ: النُّقْصَانُ بَعْدَ الزِّيَادَةِ لأَنه رُجُوعٌ مِنْ حَالٍ إِلى حَالٍ... وأحرتُ له حورًا،... والتَّحاوُرُ: التَّجَاوُبُ؛ وَتَقُولُ: كلَّمته فَمَا أَحار إِليَّ جَوَابًا وَمَا رَجَعَ إِليَّ خَوِيراً وَلَا حَوِيرَةً وَلَا مَحُورَةً ولا حِواراً حَوَاراً، أَي: مَا ردَّ جَوَابًا. وَاسْتَحَارَهُ أَي اسْتَنْطَقَهُ[1].وقال الراغب الأصفهاني: «الحَوْرُ: التّردّد إمّا بالذّات، وإمّا بالفكر،... والمُحاوَرَةُ والحِوَار: المرادّة في الكلام، ومنه التَّحَاوُر[2].وجاء في القاموس المحيط: «تحاوروا: تراجعوا الكلام بينهم[3]. وقال ابن فارس: « الْحَاءُ وَالْوَاوُ وَالرَّاءُ ثَلَاثَةُ أُصُولٍ: أَحَدُهَا لَوْنٌ، وَالْآخَرُ الرُّجُوعُ، وَالثَّالِثُ أَنْ يَدُورَ الشَّيْءُ دَوْرًا.«وتعودُ أصل كلمة (حوار) إلى (الحَوْر)، وهو الرجوع عن الشيء.وفي الحديث النبوي الشريف: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ وَعْثَاءِ السَّفَرِ، وَكَآبَةِ الْمُنْقَلَبِ، وَمِنَ الْحَوْرِ بَعْدَ الْكَوْر[54] قال تعالى: {إِنَّهُ ظَنَّ أَنْ لَنْ يَحُورَ}[6]، أي: لن يرجعَ، وهم يتحاورون، أي: يتراجعون الكلام، والمحاورة: مراجعة المنطق والكلام في المخاطبة. [7] والحور: «مَا تَحْتَ الكَوْرِ من العِمَامَة يُقَال: حارَ بعد مَا كَارَ، لأَنَّه رُجوع عَن تَكْوِيرِهَا... والمحاورة: المجاوبة، وحاوره محاورةً، وحوارًا: جاوبه وجادله، والحوار: ولد الناقة ساعة تضعه [8] ووردت مادة (الحوار) في القرآن الكريم في ثلاثة مواضع، وهي:قوله تعالى: {فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا}[9] وقوله تعالى: {قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلًا}[10] قال القرطبي في تفسير هذه الآية: «أي: يراجعه في الكلام ويجاوبه، والمحاورة: المجاوبة، والتحاور: التجاوب. [11] وقوله تعالى: {وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ }[12]الحوار اصطلاحًا:عُرِّفَ الحوار في الاصطلاح بتعريفات عدة، منها:بانه: «مراجعة الكلام وتداوله بين طرفين أو أكثر حول موضوع محدد، بصورة متكافئة، ويغلب عليه الهدوء في الوصول إلى الحق، والبعد عن التعصب والخصومة.[13] وهذا ما نراه في الآيات السابقة التي وردت في القرآن الكريم.وقيل: «نوع من الحديث بين شخصين يتم فيه تداول الكلام بينهما بطريقة ما، فلا يستأثر به أحدهما دون الآخر، ويغلب عليه الهدوء والبعد عن الخصومة والتعصب.[14] وقيل: «هو مناقشة بين طرفين– أو أطراف– بقصد تصحيح الكلام وإظهار حجة وإثبات حق، أو دفع شبهة، وردّ الفاسد من القول والرأي.[15] وقد يكون الحوارُ غير متكافئ من حيث طرفاه حين يجري بين الله تعالى ومن كفر من عباده، إلى جانب العناية بالسياق، والموقف الذي تم فيه الحوار، وقد يكون وصفيًا، كقوله تعالى: {وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا}.[16]وفي ضوء كل ما تقدم، يمكننا القول بأنه أُسلوبٌ قرآنيٌ يحكي محاورة كلامية بين طرفين أو أكثر، والهدف منه بيان معانٍ إسلامية محددة، تتضمن الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله....

المبحث الثاني :مختصر عن حياة نوح عليه السلام

كان نبي الله نوح(عليه السلام) يبتعد عن قومه المشركين الكافرين, ويذهب إلى الجبال ليعبد الله سبحانه وتعالى, وكان نوح(عليه السلام) كثير الشكر والحمد لله سبحانه وتعالى, وكان إذا لبس ثوباً أو أكل طعاماً أو شرب ماءً شكر الله سبحانه وتعالى, وكان لباسه الصوف ومسكنه الجبال ومأكله نبات الأرض. وحينما أوحى الله سبحانه وتعالى إليه بتكلفة مهام الرسالة والنبوة نحو قوله تعالى: (إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ)(نوح/١), شرع النبي نوح(ع (بدعوة قومه لعبادة الله سبحانه وتعالى وترك عبادة الأصنام, لكن دون جدوى.وتمر القرون ونبي الله نوح(عليه السلام) يدعو قومه إلى عبادة الله الواحد الأحد وترك عبادة الأصنام نحو قوله تعالى: (قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ)(نوح/٢), ينذرهم نبي الله نوح(عليه السلام) من غضب الله سبحانه وتعالى ليلاً ونهاراً دون أن يستجيبوا له نحو قوله تعالى) :أَنِ اعْبُدُوا اللهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى إِنَّ أَجَلَ اللهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا)(نوح/٣–٦)، وتعاقبت الأجيال حتى وصل بهم الأمر إلى أن يأتي الأب بابنه ويوقفه أمام نبي الله نوح(عليه السلام) ويقول له: (يا بني إن بقيت بعدي إياك أن تطيع هذا المجنون!!), ويتمادون في كفرهم وشركهم, فكانوا كلما كلمهم نبي الله نوح(عليه السلام) وضعوا أصابعهم في آذانهم واستغشوا ثيابهم ليخفوا فيها وجوههم مستكبرين ومستهزئين بنبي الله نوح(عليه السلام) وكلامه نحو قوله تعالى: (وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا)(نوح/٧), ولكن النبي(عليه السلام) ضل يذكرهم بالله سبحانه وتعالى وينذرهم عقابه نحو قوله تعالى) :ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا)(نوح/٨– ١٢), إذ يبين لهم نبي الله نوح(عليه السلام) يا قوم أنتم عشيرتي ويسوؤني ما يسوئكم, وإنني أنذركم عذاب الله سبحانه وتعالى وأن تعبدوه وحده, ولا تشركوا به شيئاً من أصنامكم وأطيعوني إني لكم نذير ,وسيغفر الله لكم ذنوبكم إذا أطعتموه, وسيزيد في أعماركم ويبعد عنكم العذاب، وستدر عليكم السماء بالغيث والمطر وتعيشون في رخاء وطمأنينة، وستكون أرضكم جنات تشقها الأنهار. فلماذا لا تتقوا الله سبحانه وتعالى وتخافوا وانتم عائدون إليه؟ هل نسيتم كيف خلقكم من نطفة، ثم حولها إلى علقة فمضغة ثم عظاماً، ثم كسا العظام لحماً ليصبح خلقاً جديداً كاملاً ناطقاً عاقلاً؟ !نحو قوله تعالى: (مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللهُ سَبْعَ

سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا)(نوح/١٣-١٥), (مَا لَكُمْ...) استفهام إنكار أنكر عليهم استخفافهم بالله سبحانه وتعالى ورسالته إليهم وأعراضهم عن الخوف منه والرجاء فيه. ويردف عليه من المعاني الثواني التقريع, والتوبيخ, والتجهيل. أما الاستفهام الثاني (أَلَمْ تَرَوْا) فهو استفهام تقرير. يقررهم النبي نوح(عليه السلام) بما يرونه من خلق الله سبحانه وتعالى سبع سماوات طباقا. ويردف عليه من المعاني الثانية توكيد الإنكار في الأول, والتذكير بجليل قدرة الله سبحانه وتعالى, وبديع صنعه في الكون. ويستمر معهم النبي(عليه السلام) قائلاً لهم ألا ترون السماء كيف خلقها الله سبع سماوات ورفعها دون عمد, وقد جعل فيها الأفلاك والنجوم والكواكب, وجعل لكم فيها قمراً منيراً تستضيئون بنوره في ليلكم في البر والبحر, وجعل الشمس ضياءً لكم في النهار؟ إن الله هو الذي خلقكم في الأرض كما خلق أباكم آدم وجعلكم رجالاً ونساءً وشعوباً وقبائل وهو الذي، يعيدكم إليها عند موتكم, وهو الذي يخرجكم منها يوم البعث للحساب، وقد جعل الله لكم الأرض مبسوطة وجعل فيها طرقاً واسعة ومختلفة لتسيروا في أوديتها وجبالها. إن هذه النعم كلها ألا تستوجب منكم عبادة الله وطاعته وعدم الشرك به واستغفاره والإنابة إليه؟! نحو قوله تعالى) :وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا والله أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بِسَاطًا لِتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا)(نوح/١٦-٢٠), وأقام نوح(عليه السلام) في قومه وتذكرهم بعظمة الله ونعمته ليلاً ونهارا، وازدادوا كفراً وتمسكاً بأصنامهم. وذكر الأنصاري في موسوعته (تفسير القرآن الكريم) «أن قصة الأصنام التي ذكرها الله سبحانه وتعالى والتي كان يعبدها قوم نوح تعود إلى أسماء قوم صالحين مؤمنين كانوا قبل نوح فماتوا وحزن عليهم الناس, فجاء إبليس فاتخذ لهم صوراً ليأنسوا بها فأنسوا بها، فلما جاء الشتاء أدخلوهم البيوت فمضى ذلك القرن وجاء القرن الآخر فجاءهم إبليس وقال: إن هؤلاء آلهة كان آبائكم يعبدونها، فعبدوهم وضلَّ منهم الكثير»(قصص الانبياء ٨٧)وأما قصة السفينة: فتذكر العديد من الروايات المتواترة بأن القوم استمروا في شركهم وعدم إطاعة نبيهم وازدادوا تكبراً وتعنتاً, وأصبح كلامه لا يزيدهم إلا فراراً منه, بل كان بعضهم يضربونه حتى يغشى عليه، فإذا أفاق قال :اللهم أهدِ قومي فإنهم لا يعلمون، وتمادوا في إيذائه وضُرب حتى بدت الدماء تسيل من وجهه, وصار لا يشعر بشيء مما صنع به، فيحمل ويرمى به على عتبة باب داره فاقداً للوعي!! ولما اشتد به البلاء والأذى قال أصحاب نوح وكان عددهم قليلاً: يا نبي الله لماذا لا تدعُ عليهم؟ (لماذا لا...) استفهام مجازي للطلب والتنبيه. وعند ذلك أقبل نبي الله نوح(عليه السلام) على الدعاء عليهم ,فقال: رب إني مغلوبٌ فانتصر، رب لا تذر على الأرض من الكافرين دياراً نحو قوله تعالى: (قال نُوحٌ رَبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا مَنْ لَمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلَّا خَسَارًا وَمَكَرُوا مَكْرًا كُبَّارًا وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا مِمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْصَارًا وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا إِنَّكَ إِنْ تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا)(نوح/٢١-٢٧), فأعقم الله أصلاب الرجال وأرحام النساء، فلبثوا أربعين سنة لا يولدلهم مولود وقحطوا في تلك السنين حتى هلكت أموالهم وأصابهم البلاء، فأقبل نوح(عليه السلام) ينذرهم ويحذرهم عذاب الله سبحانه وتعالى، وأن يستغفروه فهو الغفار، ولكنهم لم يهتدوا وظلوا في ضلالتهم، فأوحى الله سبحانه وتعالى إلى نوح(عليه السلام) نحو قوله تعالى: (وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا)(هود/٣٧)، وأمره بغرس نوى التمر, فمر عليه قومه فجعلوا يضحكون ويسخرون منه, ويقولون :قد قعد غراساً!! فنبت وطال الغرس وأثمر فقطعه ونجره, فقالوا: قد قعد نجاراً!! ثم ألّفه فجعله سفينة, فمروا عليه وهم يضحكون ويسخرون قائلين: قد قعد ملاحاً في أرضٍ خالية!! فأجابهم نوح(ع) نحو قوله تعالى: (وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ قَالَ إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ)(هود/٣٨(، وذكر الأنصاري في موسوعته لتفسير القرآن الكريم أن نوحاً(عليه السلام) فرغ منها في ثلاثين سنة, ثم أمر الله سبحانه وتعالى أن يحمل فيها من كل زوجين (اثنين)، وهم الأزواج الثمانية التي خرج بها آدم من الجنة ليكون معيشة لعقب نوح(عليه السلام) في الأرض كما عاش عقب آدم فيها, فإن الأرض ستغرق بما فيها إلا ما كان معه في السفينة. وكان الذين آمنوا معه من كل الدنيا ثمانين رجلاً, وكان نوح(عليه السلام) قد صنع السفينة في مسجد الكوفة. عموماً هذه القصة باختصار(بحار الانوار ج٩٧/٣٨٦ (رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا)

المبحث الثالث أهمية الحوار في القرآن الكريم

بعد أنْ تبين لنا معنى الحوار لغةً واصطلاحًا، فلقد ظهرت الحاجة إليه وضرورة استعماله، فإنَّ كل مسلم يسعى لنشر دعوته من خلال وسائل وطرق «فإنَّ وسيلته الأولى المتقدمة على غيرها وهي وسيلة الكلمة والحوار، ولأن الكلمة رسالة وأمانة، رسالة بمعنى يجب أنْ تقال وتؤدى، وأمانة بمعنى يجب أنْ تراعى فيها كل ما من شأنه أنْ يفي بأصولها، فالكلمة الطيبة سلاح المؤمن في أداء رسالته النبيلة، سواء دعوة الناس اليها، أم في الدفاع عنها وتفنيد الشبه المثارة حولها، كما انها سبيل الداعية في التعامل مع أمثاله من الدعاة، خاصة إذا تباينت الآراء واختلفت وجهات النظر ولذلك لا بد من دراسة الموضوع والعناية به وتأصيله[17].ولأهمية موضوع الحوار في القرآن الكريم، فلقد تناوله مجموعة من الباحثين بالدراسة والبحث، ومن هذه الدراسات على سبيل المثال:

1– دراسة محمد حسن فضل الله عام ١٩٧٩ في كتابه (الحوار في القرآن الكريم قواعده وأساليبه ومعطياته)، فقد درس الحوار في القرآن الكريم، وبيَّنَ أهميته في عرض الدعوة الإسلامية، وبين آداب الحوار، وأطراف المتحاورين، وخلصت دراسته إلى أنَّ الحوار من أنجع الأساليب وأمثلها لحل المشكلات بين الأفراد، اذ تدور الحوارات ويبدي كل برأيه ووجهة نظره بعيدة عن الضغوط والأضواء الفاسدة.

2–دراسة إسماعيل علي محمد السامرائي، ١٩٨٩ في (الحوار في القرآن الكريم)، وهي رسالة ماجستير ناقش فيها الحوار في القرآن الكريم من حيث كونه اسلوباً منهجيًا اتبعه القرآن الكريم للدعوة والامتناع.

3– كتاب اليوم الآخر في ظلال القرآن، للأُستاذ أحمد فائز عام ١٩٩٤، ناقش هذا الكتاب أهمية الآخرة في التصور الإسلامي وأثرها في النفس الإنسانية.

4–كتاب (الحوار ورسم الشخصية في القصص القرآني) عام ١٩٩٧ للأُستاذ عبد المرضي زكريا، ناقش فيه الحوار في القصص القرآني ودوره في بناء الشخصيات.وهناك مؤلفات كثيرة لا يسعنا أنْ نذكرها هنا.ومن هنا يتبين لنا معنى الحوار والمقصود به، ويمكن معرفة أهمية الحوار من خلال كثرة استعماله في الكتاب والسنة، وكثرة وقوعه بين الأنبياء، بل تكراره واستخدامه في التاريخ كله، فلا يخلو منه زمان ولم يستغنِ منه نبي ولا عالم ولا داعية، ويكفيه أهمية أنَّه قد ورد في القرآن الكريم بكثرة، ومنها على سبيل المثال إنكار قوم نوح عليه السلام حين قالوا ما ذكره الله عليه في قوله: { قَالُوا يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ}(أي: حاججتنا فأكثرت من ذلك، ونحن لا نتبعك.إنَّ الحوار في المشهد القرآني ليس عملاً فنيًا مستقلاً بموضوعه وطريقة عرضه كما هو الشأن في الأعمال الأدبية، بل إنَّ الحوار وسيلة من وسائل القرآن الكثيرة إلى تحقيق هدفه الأصيل، وهو تبليغ الدعوة وتثبيتها، مع أنَّ القرآن الكريم بإعجازه جمع بين الغرض الديني، والغرض الفني في آنٍ واحد، وجعل في الجمال الفني أداة مقصودة للتأثير الوجداني، للوصول إلى الأهداف المراد تحقيقها، فمن أهداف الحوار هو الوصول إلى الحق والاعتراف به والخضوع له وإفساد الباطل ونفي الشبهة، والتراجع عن الخطأ، وينبغي أنْ يكون الهدف من الحوار الإخلاص في الوصول إلى الحق، وصدق النية لإرضاء الله تعالى وإعلاء كلمة الحق» ولا ينبغي أنْ يدخل الداعية في حوار ما لم يكن متأكدًا من أنَّ نيته لله عز وجل، متخلصًا من قصد الرياء والسمعة بعيدًا عن قصد الظهور على الخصم، ومن أهداف الحوار أيضا التواصل والتفاهم وتوضيح الفكرة والوصول إلى الحق والصواب من أجل تجاوز الخلافات وحل المشكلات والنزاعات وتمتين الروابط والعلاقات في جميع مناحي الحياة[18].

المبحث الرابع أقسام الحوار في القرآن الكريم

يمكن تقسيم الحوار في القرآن الكريم من خلال النظر إلى المتحاورين إلى خمسة أصناف، وهي:

1–الحوار يكون بين الله عز وجل وأحد من خلقه، كما في حوار رب العزة مع ملائكته في خلق سيدنا آدم عليه السلام قال تعالى: { وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ * وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ * قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ * قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ *}.

2– الحوار يكون بين المؤمن والكافر: كما هو الحوار بين الرسل مع أقوامهم، مثل ذلك حوار سيدنا هود –عليه السلام – مع قومه، قال تعالى: { وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ }.

3– الحوار الذي يكون بين مؤمن ومؤمن، كما هو الحوار الذي دار بين موسى – عليه السلام – والرجل الصالح (الخضر) – عليه السلام – قال تعالى: { وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا * فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا * فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَاهُ آتِنَا غَدَاءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا * قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنْسَانِيهُ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا *قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَارْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا * فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا *قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا *قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا * وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا * قَالَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا * قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا * فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا * قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا *قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا * فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا * قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا *قَالَ إِنْ سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْرًا *فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا

فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَّ فَأَقَامَهُ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا *قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا * أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا * وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا *}

4- الحوار الذي يكون بين الكافرين، كما هو الحوار بين فرعون وحاشيته، قال تعالى: {وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ}وكقوله تعالى في تخاصم أهل النار: {وَقَالُوا مَا لَنَا لَا نَرَى رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُمْ مِنَ الْأَشْرَارِ * أَتَّخَذْنَاهُمْ سِخْرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمُ الْأَبْصَارُ}.(26)

-5الحوار بين الإنسان ونوع من الطيور: كما هو الحوار الذي دار بين سليمان – عليه السلام – وبين طائر الهدهد، قال تعالى: {وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ * لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ * فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ* إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ *وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ * أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ *}.

المبحث الخامس خصائص و أشكال الحوار في القرآن الكريم

خصائص الحوار يمتاز الحوار في القرآن الكريم بخصائص عدَّةٍ، منها ما يلي: القرآن الكريم يجعل الحوار سبيلاً لكلّ قضاياه، وليس في القرآن طريقةٌ للتفاهم مع المخالفين غير الحوار، أمّا استخدام القوّة والترهيب؛ فإنّ استخدامه يكون بعد إصرار المخالفين على الباطل .الإقناع العقلي في أسلوب الحوار؛ ولهذا اتجه الحوار في القرآن إلى مخاطبة العقول، وطرح التساؤلات العقليّة، خاصَّةً في القضايا التي تتعلّق بالعقيدة والإيمان، وذلك بهدف إفشال حجّة المنكرين وإثبات الحقّ .اعتماد الحوار القرآنيّ في الغالب على الحكاية؛ بمعنى نقل أقوال القائلين على ألسنتهم نقلاً طبيعيًّا لا مبالغة فيه ولا افتعال .تتنوّع أشكال الحوار وألوانه بحسب اختلاف مقتضى الحال؛ ففي بعض المواضع يكون الحوار طويلًا مفصَّلًا، وفي مواضع أخرى نجده موجزًا مختصرًا، وكذلك الأمر في تنوّع لهجة الحوار ما بين شدَّةٍ ولينٍ، وذلك حسب الموقف وما يقتضيه الحال .محاورة المخالفين بالأسلوب الحسن والتلطّف، والتركيز على نقاط الاتفاق، يقول تعالى: (وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ).

أشكال الحوار القرآني:فيما يلي ذكرٌ لأمثلةٍ على أشكال الحوار وصوره المختلفة في القرآن الكريم: حديث الإنسان مع نفسه أثناء مناجاته لله تعالى، ومثال ذلك ما جاء على لسان موسى –عليه السلام– في مدين، من قوله تعالى: (فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ) الحوار بين شخصين، كما في حوار سيدنا إبراهيم –عليه السلام– مع أبيه آزر، في قوله تعالى: (إذ قالَ لِأَبيهِ يا أَبَتِ لِمَ تَعبُدُ ما لا يَسمَعُ وَلا يُبصِرُ وَلا يُغني عَنكَ شَيئًا). وارٌ بين الله تعالى والأنبياء خاصّة، ومثاله قوله تعالى: (وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ)، وبينه تعالى والملائكة، ومثاله قوله تعالى: (وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ)، وبينه تعالى وإبليس، كما في قوله تعالى: (قالَ ما مَنَعَكَ أَلّا تَسجُدَ إِذ أَمَرتُكَ قالَ أَنا خَيرٌ مِنهُ خَلَقتَني مِن نارٍ وَخَلَقتَهُ مِن طينٍ). حوار الإنسان مع الإنسان، ومثاله ما جاء في قوله تعالى على لسان صاحب الجنتين: (وَكانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقالَ لِصاحِبِهِ وَهُوَ يُحاوِرُهُ أَنا أَكثَرُ مِنكَ مالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا)، وبين الإنسان والحيوان في قول سليمان –عليه السلام– للهدهد: (اذْهَب بِّكِتَابِي هَٰذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَانظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ).

المبحث السادس نماذج من الحوار لسيدنا نوح ـ عليه السلام

اخترتُ نموذجين من حوار سيدنا نوح – عليه السلام – وهما:

١- **حوار الله تعالى مع نوح – عليه السلام** قال تعالى: {وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ * قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ}[19]».عندما ركب نوح – عليه السلام – والمؤمنون السفينة، وحمل فيها معه زوجين اثنين من كل الأحياء ولما دخل السفينة قال: { الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي نَجَّانَا مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ * وَقُلْ رَبِّ أَنْزِلْنِي مُنْزَلًا مُبَارَكًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ } ، ولما أركب نوح – عليه السلام – أتباعه المؤمنين في السفينة، وسارت السفينة وسط الأمواج، ونظر نوح فرأى ابنه الكافر من بعيد، فدعاه إلى ركوب السفينة، ولكنه أبى، وجرى الحوار بين الاثنين. فالمحاورة هنا بين الله تعالى وبين نوح – عليه السلام – إذ نادى نوح – عليه السلام – ربه أنْ ينجي ابنه الكافر من الغرق، ونجد أنَّ المحاورة اتجهت باتجاه الاسترحام، فمن وسعت رحمته كل شيء،

وكذلك الاستعطاف من عفوه فاتجه السياق باتجاه الدعاء، وهنا نجد أنَّ نوح – عليه السلام – ينادي ربه أنْ ينجي ابنه، فيقول تعالى: {رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي }، ونلاحظ أنَّ اسم الجلالة عُبّرَ عنه بالوصف (الرب) مضاف إلى ياء المتكلم، وهو سيدنا نوح – عليه السلام – وهذا تشريف للنبي نوح – عليه السلام – وإشارة إلى رحمة الله له.وقد أشار الزمخشري إلى هذه المحاورة، فقال: «نداؤه ربه: دعاؤه له ، وهو قوله: (رَبِّ)، مع ما بعده من اقتضاء وعده في تنجية أهله. فإن قلت: فإذا كان النداء هو قوله: (رب) فكيف عطف (قال رب) على (نادى) بالفاء؟ قلت: أريد بالنداء إرادة النداء، ولو أريد النداء نفسه لجاء، كما جاء قوله: {إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاء خَفِيّاً قَالَ رَبِّ} (مريم: ٣) بغير الفاء .وإنَّ نوحًا – عليه السلام – عندما نادى ربه فأعقب إرادته بإصدار النداء وهذا يدل على أنَّه أراد نداء ربه إلَّا أنَّه تردد به عندما عرف قوله تعالى: {إلَّا مَنْ سَبَقَ عليهِ القولُ}(٣٢). فلم يستطع أنْ يصبر على هذا التردد لأنَّه كان يملك عاطفة الأبوة في الشفقة على ابنه فأقدم على نداء الله تعالى، ولهذا قدم في بداية ندائه الاعتذار بقوله: (إنَّ ابني من أهلي) وهذا الاعتذار خبر استعمل في التمهيد والاعتذار لأنَّه كان يريد أنْ يسأل سؤالاً من الله تعالى لا يعلم أنَّه سيقبل ام لا؟ ولكنه اقتحمه لأنَّ المسؤول له من أهله فله عذر الشفقة عليه، وللزيادة في الاهتمام بهذا السؤال لربه أكد الخبر بـ(إنَّ)، وكذلك جملة (وإنَّ وعدك الحق) جاءت مؤكدة أيضا بـ(إنَّ) إذ إنَّ نوحًا – عليه السلام – يعلم أنَّ وعد الله حق لا يخلف الله فيه.أمَّا قوله تعالى: {وأنتَ أحكمُ الحاكمين} فيعني به: أشد الحاكمين حكمًا، ولا يوجد حكم كحكم الله تعالى واسم التفضيل (أحكم) يدل على أنَّ حكمه لا يبطله احد.ثُمَّ يرد الله تعالى على نبيه نوح – عليه السلام – ويقول: (قال يا نوح إنَّهُ ليس من أهلك) ونلاحظ أنَّ فعل القول (قال) في رد الله تعالى إنَّ ابنك يا نوح ليس من أهلك الذين وعدتك بنجاتهم؛ لأنَّه كان من الكفار وأكد الله تعالى رده بـ(إنَّ) ليدل على الاستغراب، ثُمَّ ينهي الله تعالى النبي نوح – عليه السلام – من أنْ يسأل ما ليس له به علم، وهذا النهي نهي عتاب، وتصل المحاورة إلى قوله تعالى: {إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ}، دليل على ملاطفة الله تعالى لنوح والإكرام والموعظة[20]وقول نوح – عليه السلام – {إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ}والذي جعل نوح – عليه السلام – يقول هذا وعد الله تعالى له بنجاة اهله، لكن الله تعالى بيّن لنوح – عليه السلام – أنَّ ابنه ليس من أهل دينه.

٢- **حوار نوح – عليه السلام – مع قومه:**قال تعالى: {لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ }وهنا إخبار من الله تعالى أنَّه يبعث نوحًا رسولاً إلى قومه، وهو يطلب من قومه عبادة الله وحده، ولا يدخر وسعًا في سبيل دعوة قومه إلى عبادة الله تعالى دون سواه، وهنا يدور الحوار بين نوح – عليه السلام – وبين قومه المشركين، محاولاً فيه نوح – عليه السلام – أنْ يهديهم إلى سبيل الهدى والتوحيد، مع ملاحظة أنَّه بدأ حواره معهم بلفظة (يا قوم) هي دلالة على التحبب والترقيق ليهتدوا، ومن ثَم بين أنَّه خائف عليهم من عذاب الله وسخطه بهم.وما كان الجواب من قومه إلَّا بأنهم اتهموه بالضلال، و(الملأ) في قوله تعالى: {قَالَ الْمَلأُ مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ} هم أشراف القوم وساداتهم، وأمَّا الرؤية في قوله تعالى (لنراك) فإنَّما هي رؤية القلب، ونجد أنَّ نوحًا – عليه السلام – عندما ردَّ عليهم، قال: {يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ}، ولم يقل (ضلال) كما هم قالوا، وذلك لأنَّ الضلالة أخص من الضلال، فكانت أبلغ في نفي الضلال، وجاء لفظ الضلالة مصدراً وذلك لينفي عن نفسه الضلال نفيًا مطلقًاومن الجدير بالذكر فإنَّ المحاورة التي جرت ما بين سيدنا نوح – عليه السلام – وقومه احتوت على معانٍ بلاغية أعطت الأُسلوب القرآني رصانة عجيبة، ومعاني عميقة، وذلك من خلال أُسلوب (المجاز المرسل) في قوله تعالى: { إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ} وقوله تعالى: {يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ}، يقول محيي الدين درويش: «فقد جعل الضلال ظرفا والضلال ليس ظرفا يحل فيه الإنسان. لأنه معنى من المعاني، وإنما يحل في مكانه فاستعمال الضلال في مكانه مجاز مرسل أطلق فيه الحال وأريد المحل، فعلاقته الحاليّة، وفائدته المبالغة في وصفه بالضلال وإيغاله فيه، حتى كأنه مستقر في ظلماته لا يتزحزح عنها. وزادوا في المبالغة بأن أكدوا ذلك بأن صدّروا الجملة بأن وزادوا اللام في خبرها.»قوله: «ليس بي ضلالة» للإطاحة بما زعموه، وتفنيد ما توهموه، وهو من أحسن الرد وأبلغه وأفلجه للخصم، لأنه نفى أن تلتبس به ضلالة واحدة، فضلا عن أن يحيط به الضلال، فلم يقل: ضلال، كما قالوا، كما يقتضيه السياق.وقوله تعالى: { أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنْصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ}(٤٧)، فجاء قوله تعالى بصيغة الجمع (رسالات) ولم يقل (رسالة) يدل على أنَّه غير تارك التبليغ، وهذا إصرار منه رغم تكذيبهم له، والتبليغ: هو جعل الشيء يصل إلى مكان معين، وهو هنا استعارة للإعلام بالأمر المعين، فكأنه ينقل من مكان إلى مكان آخر، وقوله (أعجبتم) هو استفهام إنكاري، لأنَّهم لم يصدّقوا أنَّه رسول من الله أساسًا؛ لأنَّهم يظنون أنَّه بشر مثلهم، كما قالوا سابقًا، ولم يقولوا (لا عجب) ليدل على ما يتبرر به ظن العاقل بالعقلاء، ونكَّرَ (ذكر، رجل) للنوعية لا للخصوصية، فالذكر هو ذكر الله أينما كان، والرجل هو تقريبه لهم؛ لأنَّه منهم.وهكذا يتبين لنا الحوارات والأساليب المستخدمة في حوارات نوح – عليه السلام – (فمن أُسلوب الترغيب إلى أُسلوب الترهيب، إلى أُسلوب البرهان، إلى الدعوة في كتمان ثُمَّ في إعلان، إلى الدعوة في الليل، إلى الدعوة في النهار).

٣- **حوار نوح عليه السلام مع إبنه** :قال تعالى: ﴿وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَابُنَيَّ ارْكَبْ مَعَنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ* قَالَ سَآوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ﴾ هود -42 43 ﴿وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ﴾:لا تكون الأمواج في البحر متعالية كالجبال إلا إذا كانت الرياح العاتيات تحركها، فوصف الموج بأنه كالجبال أغنى عن ذكر الرياح العاتيات في الصورة لأن الذهن يستدعيها في التصور من خلال جبال الأمواج، لكن المياه ما زالت دون مستوى الجبال العالية، ولعلها غمرت الوديان، وبدأت ترتفع حتى وصلت إلى المساكن العالية في أواسط الجبال أو قريبة منها. تدلّنا "وهي تجري بهم في موج كالجبال" على أنها مسيّرة بقدرة الله عز وجل، ولذلك فإن هذه الأمواج التي وصفها الله أنها في علوّها وضخامتها كالجبال، هذه الأمواج التي لا بد أن تغرق أضخم السفن وأقواها لم تفعل شيئاً لسفينة نوح، فلم تضربها بقوة، أو تقلبها أو تضرها على أي شكل من الأشكال، بل إن السفينة تجري – أي تمشي بسرعة عالية- بين أمواج كالجبال، بل إن طريقها الذي رسمه الله تعالى لها ليس فيه موج يعوقها أو يضرها، ولك أن تتخيّل سفينة في بحر هائل بين أمواج كالجبال، كيف يمكن أن تبحر حتى إذا لم تغرقها الأمواج فإنها على الأقل لا تجعلها تسير بسرعة، ولكن سفينة نوح تسير بأمر الله تعالى، فإن هذه الأمواج لا تؤثر فيها.﴿وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَابُنَيَّ ارْكَبْ مَعَنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ﴾":ونادى نوح ابنه": وفي هذه اللحظة الرهيبة الحاسمة يبصر نوح، فإذا أحد أبنائه في معزل عنهم وليس معهم، وتستيقظ في كيانه الأبوة الملهوفة، ويروح يهتف بالولد الشارد".وكان في معزل": كان في مكان حتى تلك اللحظة من المناداة في مكان معزول عن الماء لارتفاعه مثلاً أو غير ذلك. وهناك من العلماء من يرى أن هذا الابن كان منعزلاً عن أبيه وقومه ويظهر أنه قد كان كاتماً كفره، غير متظاهر به، عصبية لأبيه، إلا أنه كان في باطنه مع عقيدة قومه، ولعل اعتزاله قد كان اعتزالاً توفيقياً، فهو لا يريد أن يَنصر قومه على أبيه، ولا يريد أن يتابع أباه وينصره ضد قومه".يا بني": وفي نداء نوح عليه السلام لابنه بكلمة «يا بني" فيه تحنّن ورأفة ورحمة وتحبّب وتلطّف وتودّد وتقرّب لو كان هذا يجدي. ولاحظ الادغام في الباء والميم في "اركب معنا" أيّ؛ تفضل بنا واركب في سفينة النجاة مع الناجين من المؤمنين".ولا تكن مع الكافرين" :انظر التلطف في "مع" بدل "من"، فكأنه بهذه الملاطفة يحرك شعوره ليستجيب، وما أجمل أجهزة الاستقبال عند الإنسان شفافة وحساسة وشغالة ومستجاشة، حتى يستجيب لمثل هذه الإشارات، ويتأثر بمثل تلك اللطائف".ولا تكن": الواو عاطفة، نهياً عن أمر: اركب معنا ولا تكن، ولا ناهية، وتكن مضارع مجزوم بحرف النهي، "مع الكافرين": أي كأنه يقول له برفق شديد :أعيذك أن تكون من الكافرين، فلست منهم بإذن الله، ولكن هذه اللحظة تقف معهم، فلا تكن معهم بل كن من الناجين ومعهم.ويرى بعض العلماء إن نوحاً قال لابنه: ولا تكن مع الكافرين، ولم يقل له :ولا تكن من الكافرين، فدل هذا على أن نوحاً لم يكن يعلم أن ابنه هذا قد كان كافراً؛ لأنه لو كان يعلم ذلك لكان المناسب أن يقول له: "ولا تكن من الكافرين"، كما قال تعالى بشأن إبليس:﴿ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴾ [البقرة: ٣٤].ويخاطب الله الكافر يوم القيامة بمثل ذلك فيقول: ﴿ بَلَى قَدْ جَاءَتْكَ آيَاتِي فَكَذَّبْتَ بِهَا وَاسْتَكْبَرْتَ وَكُنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ [الزمر: ٥٩]، "ولا تكن مع الكافرين": أي: في الدين والانعزال الهالكين ﴿قَالَ سَآوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ﴾:إن البنوة العاقة لا تحفل بالأبوة الملهوفة، والفتوة المغرورة لا تقدر مدى الهول الشامل. ويُجيب الابن من معزله البعيد غير مبالٍ يتأثر الوالد وشفقته: سآوي إلى جبل يعصمني من الماء، أيّ: سأعتصم من الطبيعة بالطبيعة، ومهما كان من طغيان الماء، فإن في طبيعة الجبال أعظم معتصم منها، وذلك هو منطق الإلحاد، لا يُبصِّر صاحبه مما هو أمامه إلا وراء أرنبة أنفه، ويصوّر القرآن ردّ الوالد عليه في جملة فيها الأسى والحزن، وفيها منطق الإيمان، يردّ على غرور الجحود والإلحاد.﴿قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ﴾:لا عاصم اليوم من أمر الله بالطوفان العام الشامل، إلا من رحمه الله، فجعل له السفينة وسيلة النجاة الوحيدة، لكن ابن نوح لم يستغل هذه الفرصة الأخيرة له؛ لأنه لم يكن من المؤمنين في باطنه، وظل مصرّاً على موقفه. ولم يطُل الحوار بين الأب وابنه، ولم يعلم نوح من ابنه موقفه من قضيّة الإيمان، إذ حال بينهما الموج فقطع حوارهما، وأخذ الموج الفلك بعيداً إلى العُباب، ولم يستطع الابن أن يسرع إلى جبل شاهق فقد داهمه الماء، فكان من المغرقين﴿وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ﴾:إننا بعد آلاف السنين، لنمسك أنفاسنا -ونحن نتابع السياق- والهول يَأخذنا كأننا نشهد المشهد، وهي تجري بهم في موج كالجبال، ونوح الوالد الملهوف يبعث بالنداء تلو النداء، وابنه الفتى المغرور يأبى إجابة الدعاء، والموجة الغامرة تَحسم الموقف في سرعة خاطفة راجفة وينتهي كل شيء، وكأن لم يكن دعاء ولا جواب. وإنَّ الهول هنا ليقاس بمداه في النفسِ الحية – بين الوالد والمولود- كما يقاس بمداه في الطبيعة، والموج يطغى على الذرى بعد الوديان، وإنهما لمتكافئان، في الطبيعة الصامته وفي نفس الإنسان، وتلك سمة بارزة في تصوير القرآن. ويسدل البيان الإلهي ستاراً على هذا الحوار بين منطق الإيمان وغرور الإلحاد "وحال بينهما الموج فكان من المغرقين". ولكأني أرى في هذه الجملة الرهيبة صواعق من مظهر الغضب الإلهي وهي تنقض على الجهل المتعالم، والغرور المتطاول تسحقه فإذا هو أثر بعد عين، إن الجملة لتقول بأبين دلالة ما كاد هذا المسكين يتم النطق بكلامه المغرور، وما كاد يطرف ببصره بحثاً عن الجبل الذي يستعصم فيه، حتى أسرعت إليه موجة فالتهمته، وكأن لم يكن.**وبهذه الصورة الحزينة**

الرهيبة يكتمل مشهد الطوفان حيث عرض القرآن الكريم مشهد الطوفان في ثلاث مشاهد أوّلها: سفينة في موج كالجبال .ثانيها: موج يحول بين نوح وابنه الذي كان في معزل ثالثها: الماء المنهمر من أبواب السماء، وهو يلتقي بالماء المتفجر من عيون الأرض.**ويعرض ما بعد هدوء ثورة الماء في ثلاثة مشاهد:**الأول: الأرض تبلع ماءها الثاني: السماء ينقشع غيمها. الثالث: السفينة ترسو على الجوديّ.

الخاتمة وأهم النتائج

1-يعدُّ الحوار وهو نوع من أنواع الحديث أهم أُسلوب يستخدمه المتحدث، والذي يدور بين شخصين أو أكثر، ويتم التداول في الكلام بينهما بطريقة ما، فلا يستأثر به أحدهما دون الآخر، ويغلب عليه الهدوء والبعد عن الخصومة.

2- إنَّ القرآن الكريم يهتم اهتمامًا بالغًا بالحوار، واختار التعبير عن المعاني التي يراد إثباتها في ذهن المتلقي، فنقل له الأفكار والمعاني بصورة حسية.

3- تميز الحوار القرآني على أنَّ الأنبياء حاوروا أقوامهم في عبادة أصنامهم، ولفتوا أنظارهم إلى وحدة التأمل والتدبر.

4-الحوار القرآني له ميزة خاصة، فهو يربي العقول على سعة الأفق وحب الاطلاع.

5- إنَّ الدين الإسلامي قد أباح الحوار وطرقه بالتي هي أحسن مع غير المسلمين.

6- يتبين لنا دور الحوار في التأثير في النفس، وإثارة المشاعر والأحاسيس، ولذلك نجد في الحوار المادة الغنية في إثارة العقل والعاطفة والمشاعر الإنسانية.

7- إنَّ عملية الحوار تتطلب جملة من القواعد والضوابط، ومنها الاحترام بين الطرفين المتحاورين، وضرورة توفير الحماية الفكرية عند إجراء الحوار إذا أردنا أنْ ينتهي الحوار بطريقة منطقية.

8- التجرد في الحوار وإخلاص النية لله تعالى.

9- لغة الحوار تكون أحيانًا مؤثرة بالآخرين أكثر من لغة العنف.

10- الحوار في القرآن الكريم دليل واضح على أنَّ الأنبياء جاءوا بكلمة واحدة، وهي إعلاء كلمة لا إله إلَّا الله، وقضية واحدة هي عبادة الله وحده.

11- يعدُّ الحوار من الضرورات العصرية، فهو في هذا العصر الذي أضحى العالم فيه مع تنائي الديار، وتباعد الأقطار كالقرية الصغيرة، فأصبح الحوار ضرورة تفرضها علينا تلك الثورة الهائلة التي لم تكن تخطر على بال.

المصادر والمراجع

1- الآلوسي، شهاب الدين السيد محمود، ١٤٠٣هـ- ١٩٨٣م: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، دار الفكر- بيروت.

2- أبو الفضل، جمال الدين محمد بن مكرم، د.ط، لسان العرب، دار صادر- بيروت.

3- أبو القاسم، الحسين بن محمد، المعروف بالراغب الأصفهاني (ت: ٥٠٢ هـ)، ١٤١٢هـ: المفردات في غريب القرآن، ط/١، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، دار القلم- دمشق.

4- ابن الجوزي، أبو الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت: ٥٩٧ هـ): زاد المسير في علم التفسير، ط/١، خرج آياته وأحاديثه: أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية- بيروت.

5- ابن حميد، صالح بن عبدالله، ١٤٢٠هـ- ١٩٩٠م: معالم في منهج الدعوة، ط/١، دار الأندلس الخضراء، جدة.

6- ابن حميد، صالح بن عبدالله، ١٩٩٤م: أُصول الحوار وآدابه في الإسلام، ط/١، دار المنارة للنشر والتوزيع، مكة المكرمة.

7-ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت: ١٣٩٣ هـ)، التحرير والتنوير، دار التونسية للنشر- تونس.

8- ابن فارس، أبو الحسن أحمد بن زكريا (ت: ٣٩٥ هـ)، ١٣٩٩هـ- ١٩٧٩م: معجم مقاييس اللغة، د. ط، د.ت، دار الفكر.

9- ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن محمد بن كثير الدمشقي (ت: ٧٧٤ هـ)، ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م: تفسير القرآن العظيم، ط/٢، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع.

10- البخاري، أبو عبدالله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة (ت: ٢٥٦ هـ)، ١٩٨٧م: صحيح البخاري، ط/١، دار القلم- بيروت.

11-البيضاوي، ناصر الدين أبو سعيد عبدالله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (ت: ٦٨٥ هـ)، ١٤١٨هـ: أنوار التنزيل وأسرار التأويل (تفسير البيضاوي)، ط/١، دار إحياء التراث العربي- بيروت.

12- الجوهري، إسماعيل بن حمادي (ت: ٤٠٠ هـ)، ١٤٠٤هـ- ١٩٨٤م: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، ط/٣، دار العلم للملايين- بيروت.
13- الخالدي، صلاح عبد الفتاح، ١٤١٩هـ- ١٩٩٨م: القصص القرآني عرض وقائع وتحليل، ط/١، دار القلم- دمشق.
14-الدرويش، محيي الدين الدرويش، ١٤٢٢هـ- ٢٠٠٣م: إعراب القرآن الكريم وبيانه، ط/٩، دار ابن كثير- دمشق.
15- ديماس، محمد راشد، ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م: فنون الحوار والإقناع، ط/١، دار ابن حزم.
16- الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر بن أحمد الزمخشري، جار الله (ت: ٥٣٨ هـ)، ١٤٠٧هـ: الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، (تفسير الكشاف)، ط/٣، دار الكتاب العربي- بيروت.
17-الزمزمي، يحيى بن محمد، ١٩٩٤م: الحوار آدابه وضوابطه في ضوء الكتاب والسنة، د.ط، دار التربية والتراث.
18- الفيروزآبادي، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب (ت: ٨١٧ هـ)، ١٤٢٦هـ- ٢٠٠٥م: القاموس المحيط، ط/١، تحقيق: مكتب تحقيق التراث، مؤسسة الرسالة- بيروت، لبنان.
19- القرطبي، أبو عبدالله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرج الأنصاري الخزرجي، شمس الدين (ت: ٦٧١ هـ)، ١٣٨٢هـ- ١٩٦٤م: الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي)، ط/٢، تحقيق: أحمد البردوني، وإبراهيم اطفيش، دار الكتب المصرية- القاهرة.
20- المدائني، عز الدين عبد الحميد بن هبة الله (ت: ٦٥٦ هـ)، الفلك الدائر على المثل السائر، تحقيق: أحمد الحوفي، وبدوي طبانة، دار نهضة مصر، الفجالة، القاهرة.

هوامش البحث

[1] ينظر: لسان العرب: ٤/ ٢١٨ مادة (حور).

[2] المفردات في غريب القرآن: ١٤٢.

[3] القاموس المحيط: ٤٨٧

[4] الكَوْر: لفُّ العمامة، والحَوْر: نقضها، وقيل: هو من الإيمان إلى الكفر، ومن الطاعة إلى المعصية. ينظر: لسان العرب: ٤/ ٢١٨ مادة (حور).

5 سنن الترمذي: أَبْوَابُ الدَّعَوَاتِ عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بَاب مَا يَقُولُ إِذَا خَرَجَ مُسَافِرًا: ٥/ ٣٧٤، رقم الحديث

6 (٣٤٣٩)، وقال عنه الإمام الترمذي: «حديث حسن صحيح

7 سورة الانشقاق: الآية: ١٤.

8 ينظر: لسان العرب: ٤/ ٢١٨ مادة (حور).

9 ينظر: الصحاح للجوهري: ٢/ ٦٤٠، مادة (حور).

10 سورة الكهف: الآية: ٣٤.

11 سورة الكهف: الآية: ٣٧.

[12] سورة المجادلة: الآية: ١

[13] الحوار آدابه وضوابطه في الكتاب والسنة: ٦.

[14] فنون الحوار والإقناع: ١١

[15] معالم في منهج الدعوة: ٢١٢.

[16] سورة الكهف: الآية: ٢٩. وينظر: الحوار في مشاهد يوم القيامة في القرآن الكريم: ١٨

[17] أصول الحوار وآدابه في الإسلام: ٥.

[18] الحوار آدابه وضوابطه في ضوء الكتاب والسنة: ١٣١.

[19] سورة هود، الآيتان: ٤٥- ٤٦.

[20] ينظر: تفسير البيضاوي: ٣/ ١٦٣؛ وأثر السياق في أساليب الحوار القرآني: ٥١.